

تَقْيِيدُ الْقَوَائِدِ

فَنِّ وَمَهَارَةٍ



إعداد : علي بن محمد الشهري
ذو الحِجَّة ١٤٤٤ هـ

سَأَلْتُ طُلَّابِي فِي الصَّفِّ الثَّانِي الْمَتَوَسِّطِ قَبْلَ عَامٍ تَقْرِيباً فِي حِصَّةٍ دَرَسِيَّةٍ : "مَاذَا لَوْ أَنَّ طَالِباً مِنْكُمْ يَتَذَكَّرُ جَمِيعَ مَا دَرَسَهُ فِي الْأَعْوَامِ الْمَاضِيَةِ ؟ أَوْ يَتَذَكَّرُ ٩٠% مِمَّا دَرَسَهُ ، مَاذَا كَانَ هَذَا الطَّالِبُ ؟"
فَأَجَابَنِي أَحَدُهُمْ : " كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ! " وَأَعْتَقَدُ أَنَّهُ أَصَابَ شَيْئاً مِنَ الْحَقِيقَةِ !

لَوْ كُنَّا قَدْ ضَبَطْنَا أَكْثَرَ مَا تَعَلَّمْنَاهُ وَحَفَظْنَاهُ فِي الْأَعْوَامِ السَّابِقَةِ لَكُنَّا بِالْفِعْلِ فِي عِدَادِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَصْحَابِ الْمَعْرِفَةِ ، وَتَخَيَّلُوا مَعِيَ الْكَمَّ الْهَائِلَ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالطَّبِيَّةِ وَالْمَعْلُومَاتِ الْعَامَّةِ فَضْلاً عَنْ خِبَرَاتٍ وَقِصَصٍ وَفَوَائِدٍ وَلَطَائِفِ الْمُعَلِّمِينَ الَّتِي تَدُورُ بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرٍ دَاخِلِ الْفُصُولِ الدَّرَاسِيَّةِ !!

وَقَدْ تَوَاصَلَ مَعِيَ أَحَدُ طُلَّابِي النُّجَبَاءِ - مِمَّنْ دَرَسَتْهُ فِي أَعْوَامٍ مَضَتْ وَأَزْمَنَةُ خَلَتْ - عِبْرَ رِسَالَةٍ وَاتَّسَابَ وَكَانَ مِفَادَ سُؤَالِهِ " مَا أَفْضَلُ طَرِيقَةٍ لَتَقْيِيدِ الْفَوَائِدِ ؟ " فَكَانَ هَذَا السُّؤَالُ دَافِعاً وَمُحَفِّزاً لِي لِمَحَاوَلَةِ نَقْلِ شَيْءٍ مِمَّا تَعَلَّمْتَهُ أَوْ طَبَّقْتَهُ أَوْ سَمِعْتُ بِهِ وَاسْتَفَدْتُ مِنْهُ ، ثُمَّ تَقْيِيدِهِ فِي هَذَا الْإِصْدَارِ لَعَلَّهُ يُلَامِسُ هِمَّةً وَنَشَاطاً مِنَ الْقَارِئِ فَيَنْتَفِعَ بِهِ ، أَوْ يُسَاهِمَ مَعِيَ فِي إِعَادَةِ نَشْرِهِ لِمَنْ حَوْلَهُ ، فَتَحْصِلَ بِهِ الْفَائِدَةُ ، فَرَبِّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ ، وَرَبِّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ .

وَلَا شَكَّ أَنَّنَا فِي هَذَا الزَّمَنِ (زَمَنِ التَّقْنِيَّةِ وَوَسَائِلِ التَّوَاصُلِ) بِحَاجَةٍ كَبِيرَةٍ إِلَى مَنْ يَذَكِّرُنَا بِمَثَلِ هَذَا الْفَنِّ (فَنِّ الْجَمْعِ وَالتَّقْيِيدِ وَالضَّبْطِ) فِي زَمَنِ طَغَتْ فِيهِ الْمَادَّةُ ، وَسَادَتْ فِيهِ الْمَاجَرِيَّاتُ ، وَعَمَّتْ فِيهِ الْمُشْتَتَاتُ وَالْمُشْغَلَاتُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

علي بن محمد بن جابر الشهري
ali.alshehry24@gmail.com
جمعة أثرب

كثير من العلماء ألفوا كُتُباً وموسوعات ، انطلاقاً من الخواطر والأفكار التي كانوا يُدُونوها في حينها ولا يتركونها تتفَلَّت منهم .

وفي الحياة تمرُّ على الإنسان سواء كان طالب علم أو غيره أثناء القراءة بعضُ الفوائد المهمة التي يحتاجها لاحقاً ، وهذه الفوائد لا بد من تقييدها بتدوينها وإلا ضاعت ، كما قيل قديماً " **العِلْمُ صيدٌ والكتابة قيدٌ** " ، وقد كان هذا الفعل دأبُ المُتقدِّمين والمتأخِّرين من أهل العلم والعلماء ، حتَّى أصبح تقييد العلم سُنَّةً مُتَّبعة عند الأئمَّة من قبل ومن بعد .

وتراث علمائنا الأوائل يشهد على ما نقول ، وأمثلة ذلك كثيرة ، منها على سبيل المثال :
قد ذكّر العلماء في ترجمة الإمام الجليل البخاري أنّه كان يقومُ في الليلة الواحدة من الفراش بضْع عشرة مرّةً لِيُسجِّل فكرةً خطرتْ له ، فيعتمد إلى إيقاد المصباح ، ويكتبها ويرجع إلى الكُتُب ، وليس ذلك بالأمر اليسير في ذاك الزمان ؛ فإيقاد السراج يحتاجُ إلى جهدٍ وعناء ، أمّا الآن فالأمر ميسورٌ جدًّا ؛ فلا يُكلّف إيقاد المصباح الكهربائي المرءَ إلا أن يضع يده على زرٍّ ليشمل الضياء المكان الذي يقيمُ فيه !

ويقول الشيخُ علي العمران في كتابه (**المشوق إلى القراءة وطلب العلم**) : "إذا انخرط الطالبُ في سِلْكِ القُرْأَن وانضمَّ إلى نادِيهم ، فلا بُدَّ له من استثمار قراءته وتوظيفها ، ليَجنيَ منها ما تمَنَّى ، ولا يضيع تعبهُ سدى ، ولا طريقة أنفع ولا أنجع لتحقيق ذلك من الكتابة والتّقييد ، فيقيّد الفائدة المستجدة ، والنّقل العزيز ، والتحرير المُدَلَّل ، والترتيب المبتكر ، وطرائف النقول والحِكم ، ودقائق الاستنباطات ، ولطائف الإشارات ، والأشباه والنظائر ، وغيرها " .

وذكر الشيخُ علي العمران في كتابه السابق ، ما صُنِفَ في هذا الباب فقال : "وقد دون كثيرٌ من العلماء هذه الفوائد في كتب مفردةٍ ، مثل : " **الفنون** " لابن عقيل وهو من أضخم الكتب ، و " **الفوائد العونية** " للوزير ابن هبيرة " ، و " **صيد الخاطر** " لابن الجوزي ، و " **قيد الأوابد** " في (٤٠٠ مجلد) للدغولي ، و " **عيون الفوائد** " لابن النجار في (٦ أسفار) ، و " **بدائع الفوائد** " و " **الفوائد** " لابن القيم ، و " **التذكرة** " للكندي في (٥٠ مجلداً) ، و " **مجمع الفوائد ومنبع الفوائد** " للمقريزي في نحو (١٠٠ مجلد ، وقيل ٨٠) وغيرها كثير " .

وما زال العلماء وطلبةُ العلم يؤلّفون في بابِ الفوائد والدُّرر والحِكم من الكتب حتَّى من المُعاصرين .

وفي الأسطر القادمة خبرات ومفاهيم في تقييد الفوائد كتبتها منشورة مُتفرّقة ، وحاولت أن أعجل في كتابتها لمن سألني عنها ، فإن وجدتُ فيها نقصاً أو قصوراً فالتمس لأخيك العذر ، وحسبي أنّي اجتهدت قدر طاقتي واستطاعتي ليستفيدَ منها مُستفيد ، أو ينتفع بها قارئ أو تضيف شيئاً لدى كاتب فلا نُحرم منه دعوةً صالحة قد تنفعني يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

قبل التقييد

قبل أن تبدأ بجمع الفوائد وتقييدها اخلص النية لله تعالى في كتابة الفوائد وتقييد المهمّات ، والإخلاص ببساطة أن تستحضر في قلبك حينها أنك تريد بجمع ما تجمع من فوائد أموراً حسنة [كأن تحفظ لرفع الجهل عن نفسك ، ونفع من حولك بالفوائد التي تقيدها ، والمشاركة بها في وسائل التواصل وبثّها للآخرين ، وأن تكون قرابة لك عند الله تعالى ،] ونحو هذه المعاني العظيمة التي تستحضرها في قلبك يوم أن تعزم على البدء في الجمع والتّقييد والحفظ والمراجعة بعد ذلك

ادعُ الله تعالى في الأزمان الشريفة الفاضلة [يوم الجمعة ، ووقت نزول المطر ، وفي الثلث الأخير من الليل ، وما بين الأذان والإقامة] وبقية الأوقات مما ورد من الأزمنة الشريفة ، احرص على الدعاء في هذه الأوقات ، وادعُ كثيراً ، لا تدعُ مرةً ثمّ تقف ، ادعُ ٢٠ و ٥٠ و ألف مرة ، الزم بلسانك الدعاء ، وتضرّع إلى خالقك وبُثّ شكواك إليه ، فالكريم سبحانه لا يردّ سائلاً ، ولا يضيع أَمَلَ آمل ادعُ الله أن يرزقك علماً نافعاً وذاكرةً حافظةً

إن أردتَ صفاء الحفظ ونقاء الضبط فعليك بالعناية كثيراً بمدخل العلم ومفاتيحه [السَّمْع والبصر والفؤاد] احفظها في زمن باتت الشّهوات والفتن تهجم على الإنسان في ليله ونهاره عبر التقنية ووسائل التواصل ، استحضر أن نظَرَ خالقك عزّ وجل إليك أسرع من نظرك إلى ما لا يحلّ النظر إليه ، واجعلها قاعدة [العلمُ عبادة ، والعبادة والمعصية خطّان مُتوازيان لا يلتقيان أبداً]

إن أردتَ سرعة في الحفظ ، وقدرة على الضبط تقلّل جداً من الجوّال وتطبيقاته ووسائله ، وخذُ منها في يومك وليلتك بقدر حاجتك فقط ، فهذا الجوّال كاللدّامة التي إن دخلتَ فيها لا تستطيع أن تخرج منها بسهولة بعد ذلك ومن جرّب عَرَفَ !

قبل التقييد

احرص على شراء دفتر من الحجم المتوسط أو الأقل قليلاً ، وابتعد عن الحجم الكبير ، حتى يسهل عليك حمله معك في المنزل والسيارة وأوقات الانتظار وما أكثرها في يومنا وليتنا ، وما أشد غفلتنا عن استثمارها بما ينفع ويفيد

احرص أن يكون غلاف ذلك الدفتر الذي تشتريه من الورق المقوى السميك حتى يتحمل معك فترة طويلة ، لأنه سيكون رفيقك وأنت تحفظ وتراجع وتضيف ، وعدم حرصك على هذه النقطة سيجعل الدفتر عرضة للتلف أو التغير بعد فترة زمنية ليست بالبعيدة إن لم يكن غلافه بالغلاف السميك

احرص أن يكون تسطير ذلك الدفتر غير سميك حتى لا يؤثر على الخط الذي تكتب به ، وكذلك ابحث عن دفتر أوراقه ليست خفيفة حتى لا تنطبع الكتابة من الوجهين

احرص على شراء أقلام ملونة ذات خط جميل [كأقلام الخط العربي مثلاً] مع الحرص على توفير أقلام ملونة كثيرة ، وأقلام المظهر حتى يخرج المكتوب في حلة قشبية

حاول أن تكتب بخط جميل بقدر ما تستطيع ، لأن الخط الجميل والمرتب أدعى للمراجعة والنظر المستمر في الدفتر ، أما الكتابة العشوائية السريعة قد تكون منقرة لك ومشتتة عن القراءة !

أفضل لك أن تكتب بيدك ، ولا يمنع من استخدام الكمبيوتر ، ولكن طريقة أهل الحفظ الكتابة والتقييد باليد ، فهي أكثر ثباتاً ، وأعظم رسوخاً

أثناء التقييد

الآن : استعن بالله وانطلق في التّقييد ، ولكن احرص إن أردتَ جمع أكبر مادّة من المحفوظات احرص على التّنبّهات القادمة

فَمُ بتصنيف كلّ ما تكتبه في الدفتر :

إن وجدتَ فائدةً فقهيةً اكتب يمينها وأنتَ ترصد : (**فائدة فقهية**)

إن وجدتَ فائدةً لغويةً اكتب يمينها وأنتَ ترصد : (**فائدة لغوية**)

وهكذا سِرّ في مشاهد الحياة ودروب المعرفة !

احرص - إن أردتَ - ثباتاً للمحفوظ ، وأنتَ في بداية التّقييد على كتابة الفوائد المختصرة والقصيرة والمركّزة [**حتى يسهل ضبطها ومراجعتها**] **والاستشهاد بها في مواطن الحديث**] وابتعد عن الفوائد الطويلة في بداية الطّلب والتّقييد ، فإذا اشتدّ عودك بعد ذلك فسوف تكون أدري بنفسك وما يُناسبك حينها ، ولكن اجعل البدايات مُختصرة ، والفوائد قصيرة ولا تتعجّل في الانتقال من هذه المرحلة ، وثبّت قدميك فيها جيّداً فمن سار على الدّرب وصل !

أثناء

التقييد

راجع باستمرار ما تقيده ، ولا يمر عليك أسبوع أو أسبوعان بالكثير إلا وقد جردتها استظهاراً وتكراراً ، أو نظراً إن لم تجد الوقت الكافي للتسميع والأحسن أن تردد في بداية الحفظ الفائدة التي تكتبها ٢٠ أو ٣٠ أو ٥٠ مرة حتى تثبت ، ولو وجدت نشاطاً وهمّة في نفسك ردّد الفائدة التي تقيدها ١٠٠ مرة بعد أن تقيدها ، فهذا أدعى لثباتها واستظهارها حتى لو توقفت فيما بعد عن مراجعتها ، بمجرد ما تعود لها فإنك تستحضرها سريعاً

إن بقيت تكتب دون مراجعة أو ضبط واستظهار ، فأنت كمن يدخل نقوداً جيباً مثقوباً ويمشي ! لن يثبت معك حينها في الجيب شيء !!
إن كنت تكتب نصف ساعة فاجعل المراجعة ساعة أو قريباً من وقت الكتابة في أقل الأحوال

المراجعة ، المراجعة ، المراجعة هي درب الحُفاظ وطريق السَّائرين الجادّين في دروب العِلْم وميادين المعرفة ، وكما قال الأول :

مَنْ حَارَ الْعِلْمَ وَذَاكَرَهُ ** صَلَحَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ
فَأَدِمَ لِلْعِلْمِ مُذَاكَرَةً ** فحياة العلم مُذَاكَرَتُهُ

للنفس أثناء الكتابة والحفظ إقبال وإدبار ، شأنها في ذلك شأن النفس البشريّة في العبادة { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا } ، فإذا وجدت من نفسك إقبالاً كرّر وراجع ثمّ دوّن وقيّد وسرّ في بساتين الحياة ، وإن وجدت إدباراً فأرّبع على نفسك ولا تحمّل نفسك فوق طاقتها ، فقد تُدبر عن القراءة والكتابة بعد أن كانت نفسك تُقبل على العِلْم والتقيي !

امنح نفسك شيئاً من الرّاحة والتوقّف ، ولكن لا تُطيل الانتظار هناك قاعدة في التّنمية البشريّة مفادها (أطفئ مُحركاتك قليلاً !)

من أكثر الأمور التي تشغل ذهن من يريد التقييد والحفظ [إحساسه الدائم في
قراءة نفسه أنه لم يستفد شي ، وأنه ينسى باستمرار ، ولن يستطيع ضبط
التقييدات والفوائد !] وهذا من تلبيس إبليس على من توجه للعلم والحفظ !

أخي طالب العلم : ما تكتبه وتراجعه لا تقلق عليه ، سيثبت مع تتابع الأيام
ومرور الأوقات شأنه شأن البناء (بداياته تراب وبلك وحديد ثم مع تتابع العمل
ومرور الأيام أصبح سكناً مشيداً ومعلماً ظاهراً للعيان)

كذلك : الطفل الصغير والذي يأكل الطعام في سنواته الأولى هل يكبر بين عشية
وضحاها أثناء أكله ؟ بالطبع لا ، لكن أثر الأكل مع تتابع الأيام ومرور الأعوام
- بعد فضل الله تعالى عليه - يجعله ينمو ويشتد عوده ويكبر ، أليس كذلك ؟
ولو واصلت لك القياس فالأمثلة كثيرة والشواهد متعددة

ضعها قاعدة في ذهنك : كل ما تدخله في ذهنك سيثبت ويستقر بالتكرار
والمراجعة ، لا تقلق : سيظهر أثره مع الأيام والأسابيع والأشهر والأعوام !
ولو تأملت حالك إن كنت قارئاً ستجد نفسك في الحوار تستشهد بآيات
وأحاديث وأخبار وقصص ! بل ربما ذكرت أقوالاً عديدة في مسألة ما
ثم ترجح بعد ذلك ما ترجح لديك ! فمن أين جاءت هذه القدرة الفذة ؟
أليست ثمرة من ثمرات القراءة وتقييد الفوائد ؟ هكذا تكبر مدارك
وتنمو معارفك ويشتد عودك مع التقييد والكتابة والتكرار والمراجعة

أثناء التقييد

أربع على نفسك وقت الكتابة والتقييد :

لا تعجل في التقييد والكتابة

لا تعجل في التكرار

لا تعجل في الحفظ

لا ترهق نفسك حتى تكل وتملّ

أخشى أكثر ما أخشاه عليك من العجلة الدائمة والتسرع في إصدار الحكم

على نفسك فتقول مخاطباً نفسك :

(لم أحفظ ! كل ما أحفظه أنساه ! متى أنتهي ! إلى متى التكرار ! وأسئلة

كثيرة تدور في محيط السلبية والإحباط السريع !) ثم تنقطع بعدها !

يا طالب العلم : العلم إلى المقبرة ! لا يتوقف بعد عام أو عامين أو عشرة أو أكثر

مادمت قد دخلت في ميدانه ليس لك إلا أن تشمر عن ساعد الجد والحرص

والمثابرة ، أنت في ميدان قال الله تعالى عن أهله { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }

العلم يحتاج صبر وتحمل وطول نفس

لن تحصّله إلا بعد أن تدفع الثمن من سنام وقتك وحياتك

وأنت تقيّد وتكتب وتزداد في حفظ النصوص النّافعة في حياتك (من علوم الشريعة أو من العلوم النّافعة في المجالات غير الشرعيّة) ستجد - إن حسنت نيّتك - تغييراً وجمالاً في مشاهد حياتك :

ستشعر بحسرة كبيرة على السّنوات الفائتة التي أضعتها من عمرك دون تحصيل هادف أو قراءة نافعة ، وتتمنّى أن لو عاد بك خطّ الزّمن إلى الوراء لتنتفع بكلّ ساعة بل ودقيقة وربما ثانية ! ولكن لا تتوقّف عن تلك الأمنيات ، واعزم بثبات على تعويض ما مضى وجعل ما بقي خيراً مما مضى ، والعبرة في حياتك بالخواتيم

ستجد حرصاً كبيراً منك على وقتك كحرصك على مالك

ستجد حرصاً كبيراً منك على طلب العلم الشّرعي النّافع

ستجد حرصاً كبيراً على تحسين صلاتك وعباداتك

ستجد حرصاً كبيراً على حُسن التّعامل مع من حولك

ستجد حرصاً كبيراً على نفع الآخرين والنّصح لهم

ستجد أثر تلك المعاني التي تغرسها في ذهنك ثماراً طيّبة تحصدّها في حياتك

اليوميّة [لا يمكن لطالب العلم أن يسير بين الناس دون أن يفوح منه شيئاً

من عبير ذلك العلم الذي يحفظه ويدرسه ويتعلّمه ، **لا يمكن ذلك !**]

بعد
التقييد

احرص على تطبيق ما تعلّمته وقيّدته من العلم الشّرعي النّافع في حياتك بقدر الطاقة والمُستطاع ، فهي حجج قامت عليك ، فلا تستكثر من حجج الله تعالى عليك يوم القيامة ، كلما ازدادت من العلم ازداد من العمل ، فثمرة العلم هي العمل ، وقال الأول :

فعالمٌ بعلمه لم يعملن ** مُعَذَّبٌ من قبلِ عبّادِ الوثن

إن أردت ثباتاً لمحفوظك فعلم به من حولك ، وانشره في مجالسك وبين الرّؤماء

افتح حساباً في وسائل التّواصل وانشر من خلاله ما حفظت وتعلّمت

إن لم يمكنك فعل ما سبق ردّده وحدك وتخيل أنّك تُحدّث به أحداً

فسوف يأتي يومٌ تنشر فيه محفوظك ، وتنشر به فوائدك

فالعلم إذا تكرر تقرّر !

مع تتابع الأوقات عليك ، ومرور الساعات والساعات ستجد طرقاً وأساليباً وأفكاراً ناهضة يمكنك السير عليها (سر عليها فوراً وطورها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً)

ما كتبتك لك في الصفحات السابقة خطوط ومعالج اقترحتها عليك وأنت بالخيار في السير عليها أو الخروج عنها المهم أن الطريق بات واضحاً لك للسير في دروبه ، والتنقل في جنباته

طالما أنت تكتب وتحفظ وتشارك فأنت على خير كبير ، ونفع واسع ، عليك أن تحرص على وقتك حرصاً كبيراً ، وعلبك بالقراءة ، وإمرار الأفكار التي تقرأها على ذهنك ، فكثر إمرار الأفكار والنصوص والقراءة على النفس تشحذ الذهن وتتوقد منها الذاكرة ، وتنتفع بها انتفاعاً كبيراً ، واصحب معك باستمرار قلماً في جيبك ، ومذكرة جيب ، فقد تنقذ في ذهنك بعض المعاني أو الأسئلة أو نفائس العلم التي يتوجب عليك تدوينها ساعتها وإلا ذهبت دون أن تعود !

بعد
التقييد

إن قيدت فوائداً عديدة مع الأشهر والأعوام فأقترح عليك أن تدفعها سريعاً إلى ملف تكتبه وتنسقه وتشارك به في وسائل التواصل ، وفي المواقع الهادفة النافعة على الشبكة العنكبوتية

أخيراً : أقترح عليك أن تُعيد قراءة الملف وتأمل جيداً في النقاط السابقة ثم تشرع في البداية [مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة]
ابدأ الخطوة الأولى الآن

مِنْكُمْ خَالِدٌ مُنْذُ الْقَدِيمِ